



خطبة صلاة الجمعة 15 / 7 / 2016 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(سلسلة: تربية الأبناء) (تربية أبناء السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة -1-)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

قال سيدنا علي رضي الله عنه: قوا أهلكم نارا علموهم وأدبوهم.

أخرج الترمذي بإسناد مرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ».

أيها الإخوة:

الحياة الزوجية محراب من محارِب العبادَة، وتربية الأبناء باب من أبواب القرب إلى الله تعالى، ولهذا جاءت سلسلة- تربية الأبناء- لعلنا نفيد منها جميعا في زيادة قربنا إلى الله ببرنا بأبنائنا ورعايتنا لهم. ونحن اليوم في الخطبة الحادية والعشرين منها؛

عنوان خطبة اليوم: تربية أبناء السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة (1)

تحدث خطبة اليوم عن أهم احتياجات المرحلة.

إني وجدت أهم احتياجات هذه المرحلة هي الحاجة إلى تكوين الصداقات، إذ إن المراهق في هذه السن مُحتاج إلى الانتماء ومحتاج إلى الحب والأمان، ومُحتاج إلى الاحترام والتقدير، ومُحتاج إلى إثبات

الذات، ومُحتاج إلى المكانة ومُحتاج إلى الترويح والترفيه، وكل هذه الاحتياجات تؤمنها له جماعة الأصحاب.

يتحدث الدكتور إبراهيم وجيه محمود المتخصص في العلوم النفسية والتربوية في كتابه النافع (المراهقة: خصائصها ومشكلاتها) عن النمو الاجتماعي كواحد من خصائص مرحلة المراهقة يقول -بتصرف-: (يضطرد النمو الاجتماعي للطفل منذ ولادته فيرتبط في السنوات الأولى بالأم... ثم تتسع دائرته الاجتماعية ليرتبط بجميع أفراد الأسرة... ثم ينتقل إلى الأقارب وأبناء الجيران الذين يلعب معهم ويلهو... إلا أن هذه العلاقات جميعها تكون داخل الدائرة الاجتماعية التي تمثل الأسرة وارتباطاتها، ولا يخرج الطفل عن هذه الدائرة ليكون لنفسه ارتباطات خاصة خارج نطاق الأسرة إلا في فترة المراهقة.

فيبدأ بتكوين علاقات تربطه بغيره من المراهقين والشبان ويشتد ارتباطه بجماعات معينة منهم ويزداد ولاؤه لهم، وتكون هذه العلاقات في العادة على حساب ارتباطه بالأسرة إذ يشعر بالأمن والراحة مع أصحابه ويروي حاجته للانتماء وللإحترام والتقدير معهم خاصة عندما يكون زعيماً في جماعة الأصحاب أو مسؤولاً عن دور معين يقدمه لهم، فيثبت من خلالها ذاته ويحقق مكانته، بالإضافة إلى تروجه عن نفسه مع أصحابه وقضاء وقت التسلية والترفيه والفراغ معهم.

ولا يتقبل عدد من الآباء هذا التغير في النمو الاجتماعي لولدهم فيرونه خروجاً عنهم وتمرداً عليهم وعلى علاقاتهم الأسرية، وربما واجهوا هذا النمو الطبيعي بالقسوة والشدة الأمر الذي يؤدي في جنوح الابن أو كبته، وكلا الأمرين خطير).

أيها الآباء أيها الشباب:

نعلم جميعاً أهمية الصاحب في تكوين اتجاهات المرء وسلوكه، وإنكم لتسمعون مني قولتي: كلمة السر في صلاح الصالحين وفساد الفاسدين الصاحب.

إني لا أعلم حافظاً للقرآن إلا والذي دعاه لحفظه حُبُّه لأصحابه أهل القرآن، ولا أعلم متفوقاً في دراسة إلا والذي دعاه للتفوق تنافسه مع أصحابه المتفوقين، وبالمقابل لا أعلم مدخناً إلا وقد تعلم التدخين من صاحبه، ولا سمعت عن مجرم إلا وقد دله على الإجرام صديقه وأعانه عليه.

إن مسألة الصحبة والصداقة خطيرة جداً في التربية، ومن أجل هذا كان أشرفَ لقب في الإسلام بعد لقب النبوة الصاحب. فلو أعطيت سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه الدنيا وما عليها لما رضي أن يتنازل عن لقب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وحق له ذلك-، وقل مثل ذلك في

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعهم، إن الذي رفعهم في الدنيا والآخرة إنما هي الصحبة، ومن هنا يتحدثون أهل التربية الروحية مجمعون على أهمية الصحبة والصدقة للصالحين في تربية المريد، ويسمونهم الأخوة في الله؛ وكما أنك لا تجني من الشوك العنب فمحال أن تجني من صحبة الفجار الصلاح.

أيها الآباء أيها الشباب:

إني لأعلم أنه يُشَق عليك أن تغرس في قلب ابنك أو في قلبك محبة فلان الصالح ليكون يوماً ما مثله، والتعلق بفلان الناجح ليكون يوماً ما ناجحاً كنجاحه، والميل لفلان المتميز بعلمه وخلقه ليسير على سيره، ويشق عليك أن تغرس في قلب ابنك أو في قلبك بغض عمل فلان الشرير لكي لا يعمل عمله، والنفور من تصرف فلان الفاجر لكي لا يتصرف تصرفه .

نعم إنه يُشَق عليّ وعليك فعل ذلك إذ القلوب بيد الرحمن، ولكننا نستطيع وتستطيع أن تكثر من الاجتماع مع جماعة الصالحين وجماعة الناجحين وجماعة المؤدبين لعل القلب يعلق والنفوس تحب، وتستطيع أن تحجب أو تقلل الاجتماع مع جماعة الأشرار والفجار والسيئين فتمنع القلب من التعلق بأحدهم إذ كيف يعلق القلب بمن لا يعرف أصلاً.

ومن هنا عقد الإمام النووي في كتابه الشهير رياض الصالحين باباً عنونه بقوله: (باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة)، وذكر فيه خمسة عشر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل زيارة الصالحين ومحبتهم وفائدة صحبتهم، منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَتَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ" [رواه مسلم].

وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ. كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ، إِذَا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخِ الْكِيرِ إِذَا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً" [متفق عليه].

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا"**. [رواه أبو داود، والترمذي بإسنادٍ لا بأس به].

وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"**. [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

أيها الإخوة:

ينفع في ربط ابن هذه المرحلة بصحبة صالحين الأمور الآتية (من كتاب كيف تربي ابنك للدكتور حسان شمسي باشا بتصرف):

- 1- اختر السكن المناسب الذي تجاوره أسر تحرص على صلاح أبنائها، فرما اختار المراهق أصحابه من أهل بنائه وجيران حيه.
- 2- اختر المدرسة المناسبة أخلاقياً من حيث معلموها وطلابها وإدارتها. فكثيراً ما يختار المراهق أصحابه من طلاب مدرسته
- 3- اصطحب ابنك إلى مجالس العلم والذكر وأشركه في دورات القرآن والحديث والتربية، فرما اختار ابنك أصحابه منهم فيا طوبى له ولك.
- 4- احذر ما استطعت من النوادي والمقاهي والأسواق والملاهي التي يكثُر فيها البطالون كيلا يعلق القلب بواحد من أهلها.
- 5- زر مع ابنك أهل الصلاح والعلم والفضل والادب، فلعل قلبه يعلق بواحد من هؤلاء فيمشي على منواله.
- 6- أكرم أصدقاء ابنك وحثه على دعوتهم إلى منزلك في المناسبات للتعرف عليهم وتقييم علاقة طيبة معهم. وأظهر احترامك لابنك أمامهم واحترامك لهم أمامه.
- 7- قد يخطئ ابنك في اختيار صديق فتابعه متابعة غير مباشرة، وقدم له التوجيه في الأوقات التي يكون فيها مسروراً منك، وكرر الحوار والنقاش الهادئ معه ليكتشف نقاط السوء في صاحبه ويقرر بنفسه تركه. فهو يحتاج إلى توجيهك لا إلى تدخلك.

أيها الآباء أيها الابناء:

أهم احتياجات الابن في سن السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة الحاجة إلى تكوين الصداقات. فلتكن صداقةً تذهب به إلى الجنة فإن المرء على دين خليله، فليُنْظَرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فالإمام رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرجل رَاعٍ في أهله، وهو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمرأة في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وهي مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا... والرجل في مالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» البخاري ومسلم.

والحمد لله رب العالمين